

الفصل الأول

مبادئ الاستدلال

1 - التيار البلاغي المنطقي :

لم يبق خافياً على المهتمين أن هناك ما يدعى بمدرسة أندلسية مغربية فلسفية تتجلى في ابن رشد وتلامذته؛ على أن هذه المدرسة لها خصائص تشترك فيها مع المدارس الفلسفية المشرقية، ولها مميزات خاصة بها فرضها المحيط الجغرافي والصيرورة التاريخية والمجتمعية. وقد يبالغ أي باحث إذا جعل بعض تلك المميزات قطيعة أو بمثابة قطيعة. فمما تشترك فيه المدرسة الفلسفية المغربية مع المدارس الفلسفية المشرقية الأخذ بالمنطق الأرسطي، وخصوصاً ما يتعلق منه بنظرية التحديد والقياس وأنواعه وعلائق القضايا. وقد رأى المتمنطقون جميعهم أن القياس المنطقي يؤدي إلى المعرفة اليقينية بعكس القياس الفقهي الذي تنتج عنه معرفة ظنية.

نعم، حُورب ابن رشد وتلامذته في مدة معينة أثناء حكم أبي يعقوب يوسف الموحدي، ولكن ما حورب - على الأخص - هو الفلسفة التي كانت تخوض في مسائل ميتافيزيقية من مثل قدم العالم، ومسألة العلم الكلي والجزئي... وغيرها من المسائل التي كانت موضع خلاف بين الفلاسفة أنفسهم، ولذلك فإن الممارسة الفلسفية لم تنمَح نهائياً من الأندلس والمغرب وإنما تشكلت في أنواع خطابية أخرى، أو أدمجت ضمنها، أو وظفت آلياتها كالشأن في التصوف الفلسفي، وفي البلاغة المنطقية، وفي أصول الفقه. وأهم ما بقي من فروع فلسفة أرسطو نشيطاً وفعالاً هو آليات المنطق الصوري المشار إليها آنفاً، على يد مدرسة رشدية نشيطة كانت تتكون من نخبة من المثقفين تداولت تراثها تلميذاً عن شيخ قرابة ثلاثة قرون على أقل تقدير.